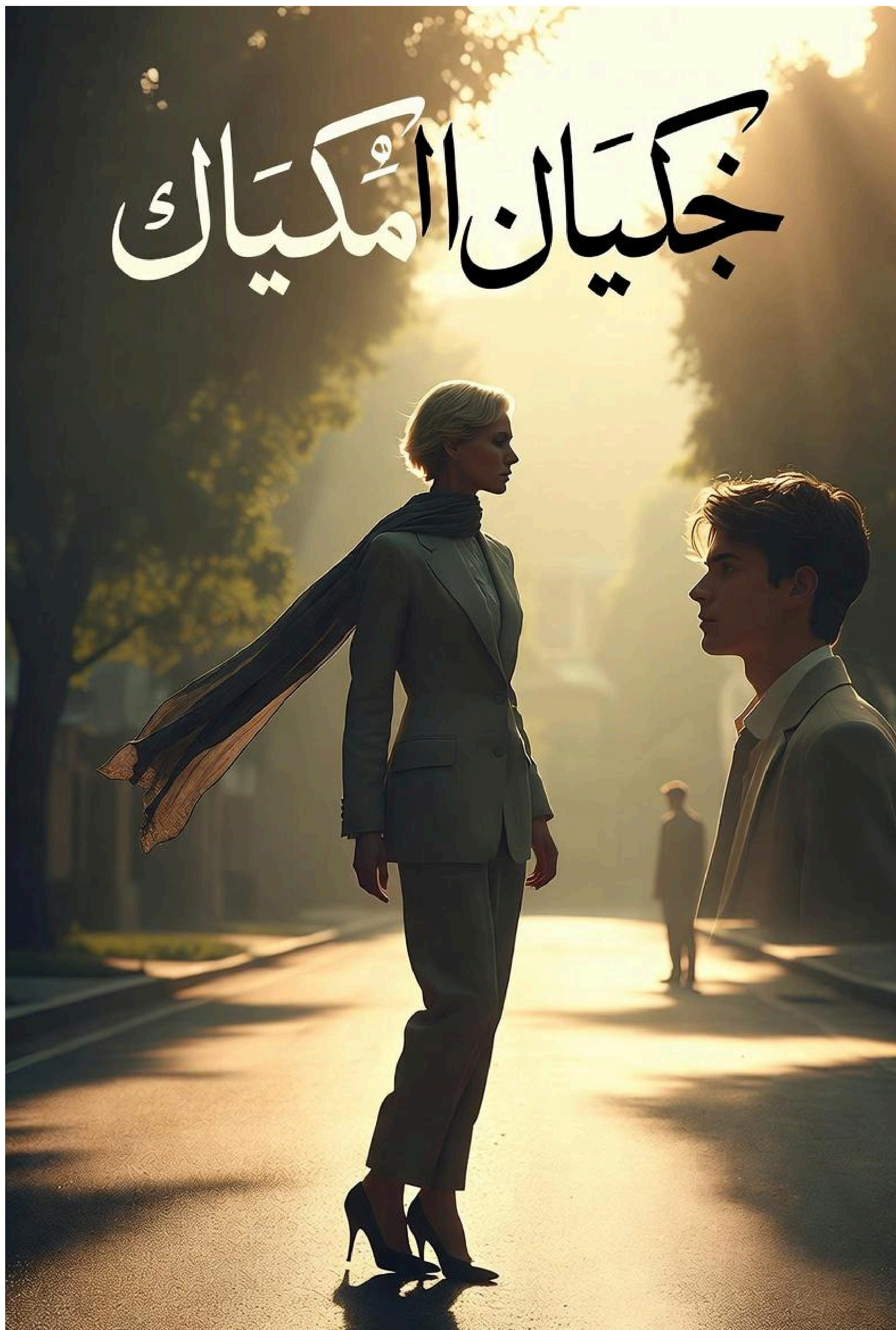

خکیان امکیاک

عندما كنت في العشرين من عمري، كان لديّ هوس شديد بإحدى جاراتي. كانت تعيش على بعد مبنيين، وكنت أراقبها منذ فترة طويلة. كان حينا يتكون من منازل متباعدة مع مساحات كبيرة لأشجار طويلة تعطي ظلاً، وكان هناك مرور قليل جداً. كنت أراها كثيراً تمشي ـــ طويلة ونحيفة، بشعر أشقر قصير. كانت عادةً ترتدي ملابس رجالية ـــ غالباً بدلة فضفاضة، لكنها كانت تربطها مع كعب عالٍ ووشاح. كانت تعرف اسمي، وكنا نقول لبعضنا "مرحباً"، لكن بخلاف ذلك لم يكن لدينا أي علاقة.

كان هوسي بها له تأثير عميق عليّ. كنت أجدها جميلة بشكل فائق؛ وقفتها وسلوكها كانا مذهلين. كل مرة كنت أراها فيها، كانت ذكرى ذلك اللقاء العابر تبقى في ذهني لفترة طويلة بعد ذلك. كانت عزباء ـــ أو هكذا كان الشائع في الحي. لماذا كان ذلك، لم أكن أعرف. في ذهني، كان يجب أن يتبعها طابور طويل من الخُطّاب أينما ذهبت، لكن ذلك لم يكن الحال. كانت في الجانب الأكبر سناً ـــ أربعين، ربما تقترب من الخمسين ـــ لكن بالنسبة لي في العشرين، كان ذلك علامة على الجاذبية، وليس عيباً.

كانت قوتها على أفكاري بهذه القوة لدرجة أنها جعلتني أريد أن أصبح رجلاً مختلفاً. بدأت أرتدي ملابس أفضل على أمل أن تلاحظني. اختفت السراويل الرياضية والتي شيرتات المطبوعة. ارتديت جينز وقمصان، وحتى هذه تحولت في النهاية إلى بناطيل رسمية وجاكيتات.

مع زيادة ثقتي بنفسي، حاولت أن أفعل أكثر من مجرد التحية. في عدة مناسبات، مشيت معها وتحدثنا حديثاً خفيفاً. لم يكن الأمر يتقدم ـــ كان ذلك واضحاً ـــ لكنني لم أكن أتوقع ذلك. لم يكن لدينا أي شيء مشترك، ولم أستطع تخيل سبب واحد يجعلها مهتمة بي. لا تفهموني خطأ؛ لم أكن غير واثق من نفسي. كنت شاباً ووسيماً، وكنت أشعر أن مستقبلاً مشرقاً ينتظرني. ورغم عدم وجود اهتمام من جانبها، إلا أن لقاءها لم يكن يوماً محبطاً؛ في الواقع، كنت أجد كل لقاء قصير بيننا محفزاً ومرفعاً للروح.

في أحد الأيام، رأيتها في حديقة صغيرة بجانب النهر، جالسة على إحدى طاولات الشطرنج، تدرس القطع المرتبة على اللوح. كانت وحدها. اقتربت وقلت مرحباً.

"لم أكن أعرف أنكِ مهتمة بالشطرنج"، قلت بعد أن ردت على تحيتي.

"لستُ مهتمة حقاً"، ردت وهي تنظر إليّ من على المقعد. "أكاد لا أعرف القواعد." ابتسمت ـــ ابتسامتها المسكرة التي تكشف عن أسنانها الكبيرة المنتظمة. "هل تستطيع اللعب؟"

"علمني والدي"، قلت، "لكنني لستُ بطل شطرنج"، أشرت نحو اللوح. "هل هذه مشكلة شطرنج تحاولين حلها؟"

"آه، هذا؟ وجدتُ القطع هكذا فقط."

شعرتُ بفرصة. "هل تحبين أن نلعب مباراة؟"

"ماذا لو عاد اللاعبان؟"

نظرت حولي. لم يكن هناك أحد في الأفق. "يبدو غير محتمل. ربما مجرد كبار في السن نسوا أنهم كانوا يلعبون."

لعبنا مباراة. فزتُ. رغم أنها قالت إنها مبتدئة، إلا أنني اشتبهت أنها تركتني أفوز عمداً، لذا في المباراة الثانية تركتها تفوز. بدت سعيدة جداً، وكنت سعيداً أنا أيضاً. لم أكن أعرف من كان يلعب مع من ـــ هل كنتُ أنا، أم هي مرة أخرى تتركني أتركها تفوز.

كان هذا كل شيء. بعد المباراة الثانية، قالت إنها بحاجة إلى الذهاب إلى مكان آخر وغادرت. لم يتم تبادل أرقام، ولا أي وعد بلقاء آخر.

ومع ذلك، شجعني ذلك. بدأت أبحث عنها باهتمام أكبر كلما خرجت. عندما كنت أراها، كنت أركض خلفها، أحييها، ولم أعد أخفي ابتسامتي الكبيرة المليئة بالحماس. كنت أمشي معها، سواء كنتُ مدعواً أم لا.

ثم جاءت اللحظة التي طلبت فيها أن آخذ يدها. عندما لم ترد، مددت يدي وأخذت يدها على أي حال. كان قلبي يدق بعنف بعد ذلك. اندفع الدم إلى رأسي، مما جعل أذنيّ ترن وصدغيّ ينبضان. لم تقل شيئاً بعد. مشينا في صمت لفترة تحت الأشجار المحاذية للشارع، واستغرق الأمر مني وقتاً طويلاً لأجمع الشجاعة لأستدير وأنظر إليها.

في أوقات أخرى، كنت أسألها أسئلة شخصية — مثل، كيف يمكن أن تكون عزباء؟ في أحد الأيام سألتها ما رأيها بي.

"أعتقد أنك شاب واعد جداً"، قالت مبتسمة كعادتها.

"أنتِ فقط تتصرفين بلباقة"، رددت.

"لا، أنا أعتقد ذلك حقاً."

"إذن اخرجي معي."

ضحكت.

"إذن صحيح"، قلت. "أنتِ لا تحبينني فعلاً."

"أحبك، أحبك"، قالت بتسلية، "لكن لا يوجد ما يجمع بيننا."

"أنا أحبك."

"نحن غير متطابقين. هل تريد حقاً أن يراك الناس معي؟ ماذا سيقول والداك؟"

"لماذا يهم ذلك؟ أنا بالغ."

"يهمني. أنا كبيرة جداً عليك — كبيرة بما يكفي لأكون والدك."

نعم، قالت "والدك". تصريحها جعلني أضحك. كانت ستكون والدي — كنت أعرف ذلك، والجميع يعرفه. ومن حيث العمر، كانت في مثل عمر والدي تقريباً.

"هل أنتِ مثلية؟" سألتها بوقاحة. كنت دائماً أفترض أنها كذلك، لكنني خفت في تلك اللحظة أنها ليست كذلك.

عبست. "لقد خرجت مع رجال، لكنك لست ذلك النوع من الرجال."

"آه حقاً؟ ما هو ذلك النوع؟"

نظرت إلى الجانب ولم تقل شيئاً. لم أعتقد أن لديها إجابة، فوقفت أمامها وأمسكت بذراعيها من تحت الكتفين. هذا أجبرها على النظر إليّ.

"أريدك"، قلت بثبات.

اتسعت عيناها، كأنها تراني لأول مرة. "تريدني"، قالت، وارتفع الإدراك في صوتها. "تريدني حقاً."